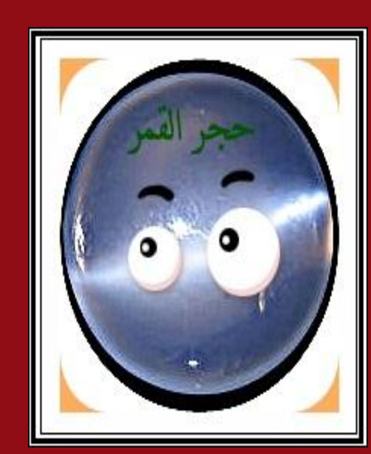
٢



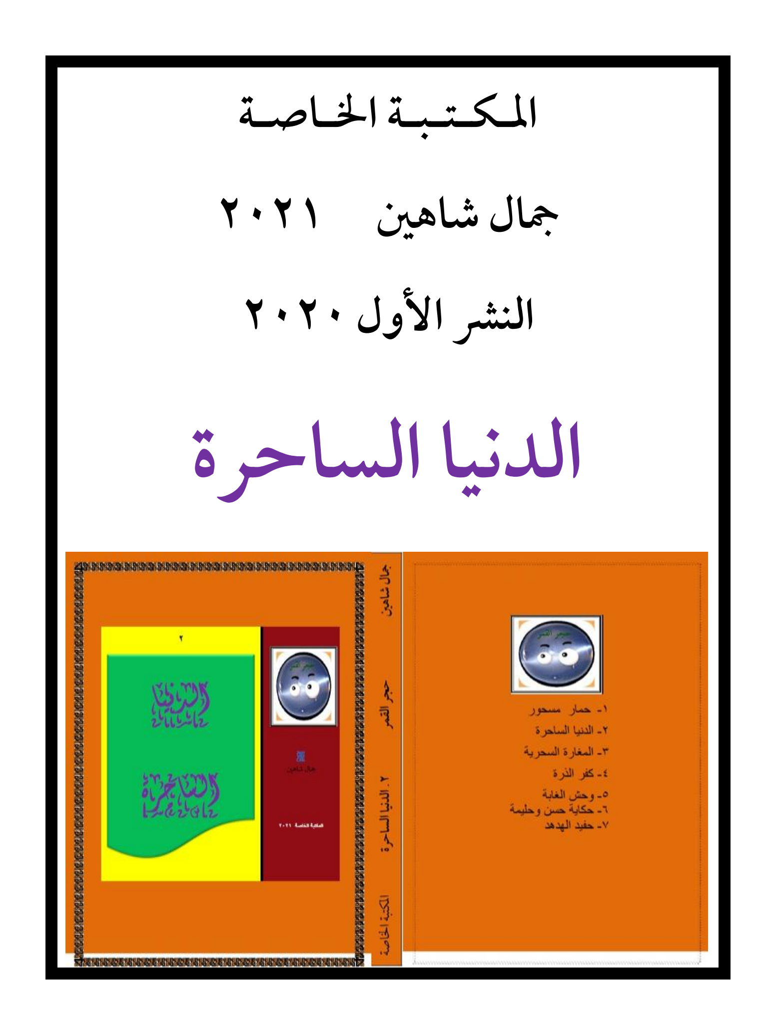




جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم




حجر القمر


الدنيا الساحرة

الدنيا الساحرة

القرية الوادعة كان يقابلها جبلا عاليا ، وكان يُرى على أعلاه قصرا تتلألأ منه الأنوار الرائعة ، عندما يبدأ غروب الشمس ودخول الليل ؛ كأنها نجوم الليل في يوم صيف حار ، كان الفضول المغروس في الناس في تفاوت ودرجات ، يثير الشهوة والرغبة بمعرفة صاحب هذا القصر الجميل اللامع من انعكاس الشمس نهارا.

من صاحب ومالك هذا القصر الأبيض ؟ من شيده على هذه القمة العالية في عنان السماء ؟ كيف بني ؟ ومن يسكن فيه؟ هل هو ملك ؟ هل هو ملكة؟ هل هو وزير ؟ من ؟!

لا يخلو مجلس من مجالس أهل القرية من الحديث عن هذا القصر الغامض ، وكيف تكون الحياة فيه ؟ ماذا يشربون؟ وماذا يطعمون؟

سمع أوس حديث الكبار عن غرابة هذه القصر وغموضه ، فاشتاقت نفسه الفتية لصعود الجبل والوصول للقصر ، ويعرف من أهله وسكانه؛ ولكنه سمع من بعض الكبار أن الذي يدخل القصر أو يقترب منه لا يرجع لقريته ومدينته ، وما سمعوا برجوع أحدهم ؛ فليس المهم الوصول إليه ، المهم العودة وإخبار الناس بما حدث ، هل يقتل من يقترب منه؟

اشتاق أوس للمغامرة ، واشتد به الفضول والرغبة لمعرفة أسرار القصر ، فهمس لصديقه بلال بهذه الرغبة والشوق.

فتجهز بالزاد والماء ،ومع تباريح الفجر انطلق ، رافقه بلال عدة أميال ، وتابع أوس رحلته الغامضة صعودا ، ورجع بلال للقرية منتظرا عودة أوس.

وبعد مسير ليالي وأيام صاعدا الجبل التقى بشاب مثله اسمه عصام راغبا مثله في معرفة سر القصر ، وهو من قرية أخرى ، وعنده ما عند أوس من الفضول والرغبة لمعرفة أخبار وأسرار قصر الجبل .

ولما صعدوا بضع ساعات التقوا بامرأة عجوز في طريقهم ، وبعد التحية والسلام عرفوا أن مقصدها نفس مقصدهم ، وأنها مفتونة مثلهم بهذا القصر العجيب ، وأن أتت من قرية بعيدة

رغم كبر سنها ، ولها أيام وأيام تسير حتى وصلت إلى حيث التقوا.

وبعد حين وجدوا فتاة شابة تسبقهم في طريقها للقصر الأبيض ، وأنها من كثر سمعت عنه من أمها وأبيها وصديقاتها لم تستطع المقاومة والثبات في بلدها وأخفت أمرها عن الجميع ، وغادرت المدينة للقصر الأبيض.

تابع الجمع وغيرهم السير إليه ،وكلهم ينتابه الشوق والامل بالوصول للقصر الغريب القريب البعيد ، وكان الشابان أسرع مشيا من العجوز والفتاة فسبقوهما بساعات .

تعب عصام فجأة ، وطلب من صاحبه تركه ومتابعة سيرة ، فقد حل فيه المرض وسيحتاج لوقت حتى يتعافى منه ، فاعتذر أوس منه لما عرف عذره ، وبعد أيام وصل أرض القصر ، ولم يجد أمامه جند أو حرس ، واقترب من بوابة القصر العالية والأسوار العالية في عنان السماء قرع الباب ، وبعد حين فتحت طاقة او نافذة وسمع صوتا يرحب به ، ولما عرف غاياته قال : سأسمح لك بدخول القصر وتحل علينا ضيفا ثلاثة أيام ، وتأخذ منه ما شئت من المال ؛ ولكن سوف تخرج من باب آخر.

فقبل أوس الشرط ، ومن أجل ذلك ترك القرية والفلاحة ،وادخل للقصر وبهره الجمال والزينة التي تغمر القصر والأضواء والأرض المفروشة بالياقوت والأحجار الكريمة ، واستقبل في جوف القصر ورأى الاثاث والمفارش والرياش والأواني والأكواب من اللؤلؤ والذهب والفضة والخدم بأحلى الثياب ، وسيق إلى جناح خاص به ، وكان مبهورا بما فيه من الاثاث والزينة والسرير الذهبي والفرش من الحرير والذهب ، وقدم له أجمل الطعام حتى كاد يذهب عقله مما رأى وشاهد واستمر يستمتع بهذه الاشياء ثلاثة أيام ، ثم ساقه قيم القصر إلى مخزن المال فرأى أنواع الجواهر والاموال والدواب والنعم ، فأخذ من الذهب والدراهم وجوادا لا نظير له في القرية ، وساقه الخدم إلى بوابة القصر الاخرى ، وقالوا له: انطلق وتنعم بما كسبت من جواهر وثياب ومال وخيرات.

وحين تعافى عصام تابع السير للقصر الأبيض ، وتم الترحيب به وضيافته الايام الثلاثة ، وحمل

بالمال والجواد وغادر القصر إلى بلدة جديدة ، ولما حل فيها اشترى أرضا ، وأخذ بزراعتها ، وتزوج امرأة حسناء.

ولما وصلت العجوز سكنت القصر الليالي الثلاث وانطلقت بمال وجواهر وسكنت في نفس المدينة التي يسكنها أوس وعصام ، وحصل لزهرة الفتاة الطيبة ما حدث لرفاقها وغيرها من البشر .

أصبح أوس رجلا ثريا وتزوج امرأة ثرية من نساء المدينة ، وأصبح لديه الخدم والجواري ، ووهب البنين والبنات ، وكان يوصف بالشح والبخل من معارفه وأهل زوجته ، ولا يحب الصدقة ، ولا يعرف الزكاة ، ولا يساعد الضعفاء ، كان اذا حدث عن ذلك يزعم أن المال قليل والحاجات كثيرة ، والذي ينفق على البيت زوجته التي كانت أسخى منه حتى أنه كان يضيق من جودها ، وتشاجرا كثيرا ، ولما أعطت أرملة شقيقها مبلغا كبيرا من المال ، طلقها من الغل والقهر ، وعادت لبيت أسرتها ، وشيدت قصرا صغيرا .

وأما عصام المزارع فقد أصبح من أكابر الملاك والفلاحين في المدينة ، وتزوج امرأة ثانية على أمل أن تنجب له بعد أن فشلت الاولى ، ثم ترك الاولى ، وتزوج الثالثة وأيضاً لم تتمكن من الولادة ، وأخيرا اقتنع أن العقم من جهته ، وأخذ بالعلاج والدواء على أمل الخلفة ، ومضت السنون دون تحقق الغاية والهدف ، وأصابه الياس من الذرية .

أما العجوز التي دخلت القصر تزوجت شابا فقيرا بقوة مالها ، ولما تحصل منها على بعض المال هرب من بيتها ، وأمضت حينا من الزمن تبحث عنه ، ولما يئست منه مكرت برجل آخر أكبر سنا من زوجها الهارب ، وقضت معه سنوات ،قبل ان تتبين أن له زوجة أخرى ؛ وإنما طمع في ثروتها ، ويأخذ منها لينفق على أسرته ؛ كما فعل الشاب الذي سبقه ، فطلبت منه لما اكتشف الامر طلاق زوجته .

فقال لها : كيف أفعل ذلك ولي منها ولدان؟!

قالت : ولكنك تزوجتها بمالي وبدون علمي.

قال: أنت عجوز كبيرة لا تلدين ، وأنا أريد الذرية، ألا يكفي أني قبلت ربط نفسي وسمعتي بك؟

صرخت : لا ، أنت غدرت بي ، وخنتي ، لم تأخذ الإذن مني ، وفضحتني أمام صديقاتي الطيبات .

قال بهدوء : وهل الزواج فضيحة ؟! ومن أخبرك بذلك ؟

قالت : إنك تنفق عليها من ثروتي.

قال بهدوء : أليس المال لنا جميعا ؟ ونحن فيه شركاء.

قالت : أنا وأنت فحسب ؛ أما زوجتك وولداك فلا حظ لهم بمالي .

قال: إذن علينا أن نخرج بمعروف ؛ كما دخلنا بمعروف ..أنت ترفضين حياتي معك .. فخذي مالك معك إلى القبر .. فالقبر أولى به.

قالت : خير من أن أنفقه على ضرة لي.

حدث الانفصال ، وقضت زمنا لم تجد من يتزوجها إلا رجلا أكبر منها سنا ، فلم تَر صواب ذلك ، فهو رجل مريض عليل ، وظلت تحلم بزوج شاب ، وخلال ذلك كانت تراود زوجها الثاني بالعودة إليها ، ويرفض إلا اذا أعطته كل ما تملك وكانت أيضا تبحث عن فتاها الاول الذي أوقعته بشبكتها عندما دخلت المدينة أول مرة .

وأما زهرة الشابة الصغيرة فعملت بما نالته من القصر الأبيض متجرا للتجارة واستأجرت أجيرا يعمل به ، وابتاعت أرضا للزراعة ، وأشرفت عليها بنفسها مع بعض العبيد والإماء ، ولم استقرت الأمور معها فكرت بالبحث عن شريك لها وعن طريق النساء التي تعرفت عليهن وجدت شابا اسمه بلال قبل بها ، وطابت لهما الحياة ، وكان بلال لا يقل عنها مالا وثروة ، فاشتغل هو في متجرها كشريك وكان بلال رجلا ذكيا ومحبا للأعمال الصالحة ومقدما للصدقة والاحسان على الضعفاء والفقراء ، وكانت زهرة مسرورة منه وتشاركه العمل الصالح وكان يقول: لا يدوم إلا العمل الطيب ، وهو الذي ينتفع به يوم القيامة .

كانت زهرة سعيدة بزوجها ، وقد أنجبت له خمسة أطفال ، ولما حدثها عن العمل الصالح ، وأنه العمل الحقيقي للإنسان ، وانه هو الذي يرجو ثوابه ، وهو ما حثته عليه أميرة القصر الأبيض .

قالت لزوجها : اليوم التقيت بامرأة عجوز خبيثة النفس ، لقد طلبت منها بعض المال لبعض الفقراء الذين نرعاهم ، ونهتم بهم ، زعمت أنها فقيرة ومحتاجة ، وأنا أعلم أنها غنية ، وأعرفها حق المعرفة عندما ذهب وإياها للقصر الأبيض يبدو أنها لم تعرفني.

قال : أنت تعرفين القصر الأبيض ؛ فإني أعرفه وزرته ، وهذا المال الذي معي حصلت عليه منه.

قالت : حقا ! هذا نحن سواء ، وأنا غادرت أهلي من كثر ما سمعت عنه ؛ لأعرف سره وغموضه ، وهناك بقيت أياما ، ثم خرجت لهذه الدنيا .

قال بهدوء : أنا ذهبت إليه يا عزيزتي بحثا عن صاحب لي ، سمع هو الآخر عنه كثيرا ، وأحب أن يعرف أسراره مثلك ، ولما طالت غيبته ، وقبل أن أكشف سر اختفائه عن القرية لأهله ، صممت أن أبحث عنه ، ولما وصلت إلى القصر لم أجده ؛ ولكني أكرمت في ذلك القصر ، وحملت رزقي ، وخرجت إلى هذه الدنيا الجديدة ، وكانت أوسع من تلك الدنيا في القرية ، ولما جئت هنا التقيت به ، فلم يعرفني ، وأنكر معرفته بتلك الدنيا ، وزعم كما زعمت عجوزك أن المال ورثه كابرا عن كابر ، ولم يكن فقيرا في يوم من الايام ، ولا يعرف القصر الأحمر ، ولا الأبيض ، وهو شحيح النفس ، ولا يعرف الصدقة ، وأنه ليس من مهامه مساعدة الفقراء والضعفاء ، ويجمع المال للمال ، وماذا سيفعل به بعد الموت ؟ الانسان عجيب لما ينسَ ضعفه وفقره وحاجته ، وأن الله سخر له من يرعاه جنينا ورضيعا وصغيرا ، وحثثته على الاحسان وألا ينسى نصيبه من الدنيا ، وأن الدنيا زائلة.

قالت : هذا حاله كحال العجوز التي رافقتني لذلك القصر ، تزوجت شابا صغيرا وبعد حين هرب من خبثها وجوارها ؛ كما علمت من صديقاتها ، وما زالت تبحث عنه ، وعن السعادة

التي عاشتها وإياه ، ثم اقترنت برجل أكبر سنا منه ؛ كما خبرت ، وعاش معها ردحا من الأيام والسنين ، وتزوج عليها سرا امرأة ولدت أطفالا ، وكملت سعادته التي لم يجدها عند العجوز ، ولما علمت بذلك ضغطت ؛ ليطلق ضرتها التي حققت له السعادة بالبنين ، وترك السعادة بالمال التي كانت تنفقه عليه ، فاضطر أمام ضغطها ؛ ليطلقها هي ، واختار أم ولده وأولاده ومازالت تحاول إعادته لحظيرتها ، وهو يرفضها ويرفض مالها.

قال : وتعرفت على رجل يا زهرة ، وأنا في طريقي للجبل التقى بصاحبي أوس أثناء صعوده لمعرفة السر اسمه عصام ، وكان أثناء الرجلة قد مرض وعجز عن الوصول للقصر مع صديقي أوس.

قالت : إني أعرفه التقيت به أنا والعجوز في صعودنا للقصر الأبيض ، وفعلا كان مريضا ؛ ولكنه نجا من الموت والمرض يومها ، هل التقيت به هنا ؟

قال : نعم ، التقيت به غنيا ؛ ولكنه محروم من الذرية ، وتزوج مرات ومرات، وهو سيّء الخلق ، لا يعمل الصالحات والطاعات ، ويلهو بالخمر والفواحش ، ولم ينفعه نصحي ، ويزعم أنه يفعل ذلك لحرمانه من الذرية .

قالت بدعاء : اللهم ثبتنا على العمل الخير والصالح.

قال بهدوء : هذا حال الدنيا يا زهرة الرائعة ! منا السعيد ومنا الشقي ، والقصر هو الرحم الذي نخرج منه إلى الدنيا ، لا يبقي إلا العمل الصالح والكلم الطيب يرفعه الحق تعالى .




حجر القمر